العلاقات العلمية والصوفية بين الجزائر ومصر خلال القرن 12 هـ -18م

Scholarly and Sufi Relations between Algeria and Egypt during the 12th AH / 18th CE Century

د. عبد القادر بلغيث

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة

البريد الإلكتروني:a.belghit@crsic.dz

ملخص:

يتناول هذا البحث العلاقات العلمية والصوفية بين الجزائر ومصر خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، ويهدف إلى الكشف عن مظاهر العلاقات الثقافية بين البلدين من خلال تتبّع رحلات الجزائريين والتواصل مع علماء الدين المصريين وشيوخ التصوف. كما يطرح إشكالية تتعلّق بطبيعة هذا التواصل، من خلال دراسة جدلية التأثير والتأثّر بين الطرفين والعوامل المتحكّمة فيه.

وسيعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي للكشف عن أبعاد هذه الإشكالية. وقد انصبّ على محورين رئيسين: الأول العلاقات العلمية والفقهية، التي تجلّت في أعلام جزائريين قصدوا مصر، مثل ابن عمار وابن الأمين وغيرهما.

والمحور الثاني حول العلاقات الروحية الصوفية، التي تجلّت في بعض الشخصيات المهمة في تاريخ الجزائر، مثل الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري مؤسّس الطريقة الرحمانية، والشيخ أحمد التيجاني مؤسّس الطريقة التيجانية.

ويسعى الباحث في ذلك إلى الاعتماد على مصادر متنوّعة تتمثّل في كتب التراجم، وكتب الرحلات، وكتب الفهارس والأثبات، وهي تُعدّ مادة غنيّة لمثل هذه الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: ابن عمار، ابن الأمين، محمد بن عبد الرحمن الأزهري، الطريقة الرحمانية، أحمد التيجاني، الطريقة التجانية.

Abstract

This study examines the scholarly and Sufi relations between Algeria and Egypt during the 12th century AH / 18th century CE. It aims to reveal the manifestations of cultural connections between the two countries by tracing the

journeys of Algerians and their interactions with Egyptian religious scholars and Sufi masters. It also raises a central question concerning the nature of this interaction, through an analysis of the dynamics of mutual influence between the two sides and the factors that shaped it.

The research relies on the historical-analytical method to uncover the dimensions of this issue. It is structured around two main axes:
The first concerns scholarly and jurisprudential relations, which are reflected in the works and travels of Algerian figures who visited Egypt, such as Ibn ʻAmmar, Ibn al-Amin, and others.
The second focuses on spiritual and Sufi relations, embodied in prominent figures in Algerian history such as Shaykh Muhammad ibn ʻAbd al-Rahman al-Azhari, founder of the Rahmaniyya order, and Shaykh Ahmad al-Tijani, founder of the Tijaniyya order.

The researcher seeks to rely on a variety of sources, including biographical dictionaries, travel accounts, and catalogues of scholars and teachers, which provide rich material for studies of this kind.

Keywords: Ibn ʻAmmar, Ibn al-Amin, Muhammad ibn ʻAbd al-Rahman al-Azhari, Rahmaniyya Order, Ahmad al-Tijani, Tijaniyya Order.

مقدمة

كان لمصر بحكم موقعها الجغرافي والحضاري أثر واضح في العالم الإسلامي لاسيما بالنسبة للمغاربة بما فيهم الجزائريين. وذلك من خلال كونها كانت مفتاح المشرق الإسلامي. فكانت كالبوابة بالنسبة إلية وطريقا رئيسيا الحج. وطريقا لقصادي بلاد الشام والعراق. إن هذا التواصل الجغرافي فتح آفاقا للتواصل الثقافي والحضاري.

كما تمتعت مصر بحاضرة القاهرة التي كانت عاصمة للدولة العباسية التي قضى عليها المغول في بغداد. هذه المدينة التي فقدت دورها الحضاري مع هذا الغزو العسكري الكبير، لترثه القاهرة فيما بعد. خاصة بعد انتقال الخلافة العباسية إليها. كما كانت القاهرة عاصمة امبراطورية الممالك التي كانت تمتد أراضيها إلى مصر والشام والحجاز واليمن.

هذه المدينة بهذه المكونات التاريخية الحضارية الثقيلة كان لها دور كبير. وأثر كبير وإشعاع للعالم الإسلامي. خاصة مع الدور المتزايد لجامع الأزهر الشريف الذي أصبح جامعة كبيرة للعالم الإسلامي السني بعد

سقوط الخلافة الفاطمية الشيعية. وازداد دور هذا الجامع مع تأسيس مشيخته في القرن الحادي العشر الهجري وكان الشيخ الخرشي المالكي اول شيوخه.

إن مدينة القاهرة وجامعها الأزهر الشريف كانت لها صلة ثقافية وحضارية مع الجزائر من خلال العوامل التي تقدم ذكرها.

وخلال هذا البحث سيتم التعرض إلى العلاقة الثقافية بين الجزائر ومصر خلال القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي

ولكن ماهي مظاهر هذا التواصل الثقافي؟

وهل هذا التواصل كان له أثر بين الطريفين؟

وبخصوص الجانب الروحي الصوفي الذي كانت له مكانة كبيرة في ذلك العصر هل كانت مصر لها أثر في الجزائر وما هي مظاهر ذلك.

من خلال هذا البحث سيحاول الإجابة على هذه التساؤلات من خلال التعرض لتراجم علماء الجزائر الذين دخلوا مصر اخذوا عن علمائها. ومن خلال تتبع سيرة هؤلاء العلماء سأحاول اكتشاف مظاهر التأثير المتبادل وكيف كان ذلك؟

وقد قسم البحث إلى قسمين:

القسم الأول: العلاقات العلمية بين مصر والجزائر.

القسم الثاني: العلاقات الروحية بين مصر والجزائر.

1- العلاقات العلمية بين مصر والجزائر

عند تتبع سيّر بعض العلماء الجزائريين في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي في كتب التراجم والأثبات والفهارس ومحاولة اكتشاف شيوخهم الذين أخذوا عنهم سوف نجد أن عدد منهم أخذ عن علماء وفقهاء مصر.

ونجد من هؤلاء علي بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن علي بن الأمين الأندلسي الجزائري (ت1236-1821) الذي كانت له مكانة علمية كبيرة فقد تولى الإفتاء المالكي في مدينة الجزائر ست مرات ما بين سنة 1206 و1233هـ[1]. ودرس بالجامع الأعظم وأخذ عنه جماعة من العلماء. وتخرج على يديه الكثير من

1 عادل نويهض، معجَمُ أعلام الجزائر – من صَدر الإسلام حتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط 02، 1400 هـ - 1980 م، ص 24.

العلماء المشهورين وانتفعوا به كثيرا، مثل محمد بن محمد ابن العنابي، وأبو اراس الناصري ومصطفى الكبابطي[2] الجزائري. وعلى بن المنجلاتي[3] وغيرهم.

كما كان من العلماء المشاركين في التأليف فله حاشية على مختصر السعد، ورسالة في أما بعد. كما كان من العلماء المسندين فقد كان له ثبت جمع فيه أسانيد شيوخه الذين أخذ عنهم[4] وكل ذلك يشهد على أن للابن الأمين تأثير كبير.

ويمكن اعتبار الشيخ ابن الأمين أنه خريجي الأزهر الشريف وابن المدرسة المصرية لا سيما في المذهب المالكي. الذي مكث فيه طويلا من أجل طلب العلم عن علمائه، فقد مكث هناك أكثر من ثمانية عشر سنة[5]. وقد شهد جيلا مميزا من علماء الأزهر الذين كانت لهم مساهمات علمية مميزة. ويروي ابن الأمين بالإجازة ثبت شيخه الجوهري[6]. ويروي ابن العنابي[7] عن شيخه ابن الأمين هذا الثبت[8].

ومن أبرز الذين أخذ عنهم وأجازوه اثناء تواجده في مصر الشيخ محمد بن سالم الحفني الشافعي الخلوتي، والشيخ أحمد الجوهري، وعلي بن العربي السقاط، وعلي الصعيدي العدوي، وأحمد الدريدر، وحسن الجبرتي الحنفي، ومحمد الجوهري الصغير، ومحمد الأمير الكبير[9]، والشهاب الملوي[10].

---

2 مصطفى بن الكبابطي (ت 1277هـ - 1860م): عالم من فقهاء المالكية. ولي الإفتاء بمدينة الجزائر في بداية عهد الاحتلال الفرنسي، نفاه الفرنسيون خارج البلاد بعد ان عارض سياستهم فاستوطن الاسكندرية بمصر وتوفي بها. معجم أعلام الجزائر 273.

3 محمد بن أحمد بن عمر المنجلاتي، (كان حيا 1247هـ 1831م): أديب، لغوي، فقيه، أصولي، مشارك في عدة علوم، من أهل مدينة الجزائر، وبها نشأ وتعلم، وأصله من بجاية. له تصانيف. نويهض مرجع سابق، ص 318.

4 حول ثبت ابن الأمين ينظر محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الكتاني فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط 02، 1982، ج 02، ص 785.

5 عبد الحميد بيك، أعيان المشارقة والمغاربة، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ب ت ط، ص 150.

6 أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي الجوهري (1096 - 1182 هـ = 1685 - 1768 م): فاضل مصري أزهري. كان أبوه يبيع الجوهر، فنسب إليه. من كتبه (منقذة العبيد من ربقة التقليد) في التوحيد، ورسالة في (الغرانيق) و (ثبت) في أسماء شيوخه. خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة 15 ج 01، ص 112.

7 محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري، ابن العنابي (ت 1285 هـ - 1868 م) عالم بالحديث. من الحنفية. نسبته إلى مدينة عنابة بالجزائر. ولي الإفتاء في الإسكندرية ومات بها. له (سند في أوئل الكتب الستة)، أجاز به إبراهيم السقا وفرغ منه سنة 1242 هـ و (السعي المحمود في ترتيب العساكر والجنود) و (الجوهر الفريد في علم التجويد) الزركلي، مرجع سابق، ج 07، ص 89.

8 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشرطة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ج 02، ص 38.

9 محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السنباوي الأزهري، المعروف بالأمير (1154 - 1232 هـ = 1742 - 1817م): عالم بالعربية، من فقهاء المالكية. ولد في ناحية سنبو بمصر. وتعلم في الأزهر وتوفي بالقاهرة. اشتهر ب الأمير لأن جده أحمد كانت له إمرة في الصعيد، وأصله من المغرب. أكثر كتبه حواش وشروح أشهرها (حاشية على مغني اللبيب لابن هشام) في العربية مجلدان، ومنها (الإكليل شرح مختصر خليل) الزركلي، مرجع سابق، ج 07، ص 71.

10 عبد الحميد بيك، مصدر سابق، ص 150.

إن المجاورة الطويلة لابن الأمين للأزهر الشريف وأخذه عن كبار علمائه تبين مدى الصلة الثقافية والدينية الوثيقة بين الجزائر ومصر.

ومما يلاحظ في مشايخه ان ابن الأمين أخذ عن نخبة علماء الفقه المالكي الذي كان لمؤلفتهم تأثير كبير في المدرسة المالكية وهم أحمد الدردير[11] صاحب الشرحين الكبير والصغير والشيخ على الصعيدي ومحمد الأمير الكبير .

توفي ابن الأمين في سنة 1236 – 1821 عن عمر يناهز ثمانين سنة[12].

ويعتبر أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري من الذين كانت لهم تواصل علمي ثقافي مع مصر وعلمائها

وكان ابن عمار الذي ولد في الجزائر حوالي سنة 1119هـ[13]، وتوفي سنة 1204 كما يقول الكتاني[14]. أخذ العلم عن علماء مدينة الجزائر منهم محمد بن علي، تولى وظيفة الإفتاء المالكي من سنة 1180 الى 1184هـ. وكان ابن عمار يدرس الفقه في الجامع الكبير بالجزائر[15].

وكان لابن عمار اهتمام بالأدب وفنونه فقد ألف رسائل في الأدب والتفسير، وكتاب لواء النصر في فضلاء العصر. وكتاب نحلة اللبيب في الرحلة الى الحبيب وتاريخ الباي باشا بن حسن وديوان شعر.

وقد حج مع زميله الوثيلاني ودرسا معا في القاهرة. وأخذ ابن عمار عن علماء مصر منهم الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين.

ومن تلاميذه احمد الغزال المغربي، وإبراهيم السيالة التونسي الذي منحة ابن عمار الإجازة في مروياته، ومن الذين أخذوا عنه محمد بن خليل المرادي في الشام وعمر بن الكريم في مكة وغيرهم [16]

---

11 احمد الدّردير (1127 - 1201 هـ) (1715 - 1786 م) احمد بن محمد بن أحمد بن ابي حامد العدوي المالكي، الازهري، الخلوتي، الشهير بالدردير (ابو البركات) فقيه، صوفي، مشارك في بعض العلوم. ولد ببني عدي، من صعيد مصر. وتولى مشيخة الطريقة الخلوتية، والافتاء بمصر، من تصانيفه: اقرب المسالك لمذهب الامام مالك، فتح القدير في احاديث البشير النذير، تحفة الاخوان في آداب أهل العرفان في التصوف، منظومة الخريدة البهية في التوحيد، ورسالة في متشابهات القرآن. الزركلي، مرجع سابق، ج 02، ص 67.

12 عبد الحميد بيك، مصدر سابق، ص 151.

13 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 02، ص 234.

14 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص 122.

15 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 02، ص ص 234، 235. ط القديمة

16 أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983. ص 63.

ومن اثار ابن عمار التي تعد مصدرا مهما لمعرفة شيوخه ولاسيما المصريين منهم كتابه المسمى "مقاليد الاسانيد "[17]وهذا الثبت مفقود. وهو ثبت مطول ، ويعتبر هذا الثبت مهما من أجل معرفة شيوخه الذين أخذ عنهم.

ويقول الكتاني عن هذا الثبت انه من جمع تلميذه إبراهيم السالة التونسي، قال الكتاني: "عندي نسخة منه عليها خط المترجم مجيزاً بها لإبراهيم السيالة المذكور بتاريخ سنة 1204"[18].

ويعدد الكتاني شيوخه في مصر والحجاز. ففي مصر أخذ عن وعطاء الأزهري وأبي الحسن الصعيدي والشيخ خليل بن محمد التوني والشمس محمد بن سالم الحفني بأسانيدهم وغيرهم. وفي الحجاز أخذ عن أبي حفص عمر بن عقيل الباعلوي، وأبي الحسن السندي، والشمس محمد بن الطيب الشركي المدني، وحسن بن محمد سعيد بن إبراهيم الكوراني، والسيد جعفر البرزنجي[19].

يقول الكتاني: "وعلى أسانيد ابن عمار المذكور المدار عند الجزائريين"[20]. وهذا يبين أن ابن عمار ربط العلماء الجزائريين بالأسانيد التي جمعها لا سيما من المصريين. وما تحويه من التعريف بمؤلفاتهم واسهاماتهم العلمية. التي لاشك سوف يكون لها اثرها في الحياة العلمية والدينية في الجزائر.

كما يدل أيضا على أن ابن عمار كان له اهتمام بالإسناد ولقاء الشيوخ والرواية والأخذ عنهم، فلذلك وصفه الكتاني أيضا بقوله: "علامة الجزائر ومحدثها ومسندها"[21]. ومما لا شك فيه انه اخذ على الكثير من علماء مصر.

وعند توجه ابن عمار إلى المشرق أجاز محمد خليل المرادي الدمشقي، وقد جاءت هذه الإجازة مقتضبه جدا. وذكر بعض شيوخه الذين أخذ عنهم. ومن المصريين الذين ذكرهم أبو عبد الله محمد الحفني الذي وصفه بالشيخ العالم المربي الكامل، والشيخ احمد الدخلي. وعن الحفني يروي عنه ماله من مرويات عن الشيخ عيسى الثعالبي[22].

ومن علماء الجزائر الذين جاوروا الأزهر الشريف وأخذوا علمائه الشيخ حمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الجزائري، المعروف بالمقاسي (ت 1245هـ - 1829م). وهو من أبناء مدينة الجزائر. كان من كبار فقهائها وعلمائها، أصولي، مشارك في كثير من العلوم، تلقي تعليمه الأولي مدينته ثم سافر إلى مصر فأخذ

---

17 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 02، ص ص 240، 241. ط القديمة

18 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص 122.

19 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص 121.

20 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص 122.

21 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص 121.

22 سعد الله، تجارب في الادب والرحلة، مرجع سابق، ص 67، 68.

عن مشاهير أعلام الازهر الشريف في عصره منهم مرتضى الزبيدي، ومحمد الأمير، وحسن العطار، ومحمد الدسوقي، وحجازي بن عبد المطلب العدوي. وقد أذن له هؤلاء بالتدريس. وقد جمع المقاسي ثبتا عدد فيه شيوخه الذين أخذ عنهم[23].

ويرجح سعد الله أن المقايسي أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الجزائري وأجازه أثناء تواجده في مصر[24]. وقد وصف الكتاني المقايسي بالأزهري[25] لعل تلقيبه بذلك يرجع إلى مجاورته الطويلة للجامع الأزهر في مصر، وتلقى العلم عن شيوخه.

أما عن إجازاته من شيوخه في مصر فيذكر الكتاني أنه: "يروي عامة عن الشيخ مرتضى الزبيدي. وعندي إجازته له بخطه، وهي عامة حلاه فيها ب " الشيخ الصالح الوجيه الورع الفاضل المفيد السيد الجليل والماجد النبيل". وذكر فيها أنه أسمعه حديث الأولية بشرطه، حيث لم يسمعه من أحد، ثم عمم له الإجازة"[26]. وقال أيضا: "كما وقفت على صورة إجازة الأمير له بثبته وغيره بتاريخ 1205، وإجازة الشيخ محمد الدسوقي[27] وحجازي بن عبد المطلب العدوي المالكي"[28].

ويذكر أبو القاسم الحفناوي في تعرف الخلف أنه وجد إجازة كتبها محمد بن عرفة الدسوقي وهو من علماء الأزهر كتبها للمقايسي في الورقة الأخيرة من شرح القطب على الشمسية. ومما جاء فيها: " قد لازمني في حال قراءتي لهذا الشرح الفاضل اللذوعي الكامل. إلى أن قال: وبحث وأجاد ولازم واستفاد. وطلب مني إجازة بذلك، ظنا منه أني أهل لها. فأجبته راجيا من الله تعالى أن يحقق ذلك قائلا: قد أجزته به وبغيره مما تلقيته عن أشياخي من منقول ومعقول وفقه وأصول، طالبا منه الدعاء لي بحسن الحال. أطال الله عمره وبلغه مأموله امين. كتبه الفقير محمد الدسوقي خادم الفقراء بالأزهر"[29] .

وفي الورقة التي مكتوب فيها الإجازة نبذه بخط المقايسي جاء فيها: "الحمد لله مبلغ الآمال وقابل صالح الأعمال. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه والآل. ختم هذا الشيخ النفيس الخالي من الشكوك والتلبيس تدريسا وتحقيقا وتدقيقا وتنميقا على استاذنا خاتمة المحققين وصدر الأعلام المدرسين مولانا الشيخ

---

23 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 02ـــ ص 37.

24 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 02، ص 37.

25 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص345.

26 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص345.

27 محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت 1230 هـــ - 1815 م): من أهل دسوق بمصر. تعلم وأقام وتوفي بالقاهرة. وكان من المدرسين في الأزهر. له كتب، منها (الحدود الفقهية) في فقه الإمام مالك، و(حاشية على مغني اللبيب)، و (حاشية على السعد التفتازاني)، و(حاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل) في فقه، و (حاشية على شرح السنوسي لمقدمته أم البراهين). الزركلي، مرجع سابق، ج 06، ص 17.

28 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص345.

29 أبو القاسم الحفناوي بن الشيخ ابي القاسم الديسي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيير فونطانة الشرقية الجزائر، 1906. ج 02، ص 141.

المعروف بالدسوقي. .. حرر يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر شعبان سنة 1204 من الهجرة النبوية عل صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم. ونسأل الله تعالى العلم والعمل كاتبه الفقير حمودة، القاطن بالأزهر"[30].

ومما ذكره المقايسى بعد هذا النص أنه قرأ بالأزهر وحصل القطب بحاشية عبد الحكيم[31]، والمطول في البلاغة، والعقائد النسفية[32] وغيرها. مع مراجعة حواشي عبد الحكيم. وذكر أيضا له أشياخه وهم الشيخ الصبان[33] والدسوقي والأمير وغيرهم.

ويقول الحفناوي أيضا أن المقايسي كتب في بداية كتاب آداب البحث والمناظرة، أنه درس هذا الكتاب على الشيخ حسن العطار[34] الازهري الشافعي، وقد نسب المقاسي نفسه للأزهر فقال: " قد طالع هذا الكتاب المفتقر لرحمة الغفار حمودة بن محمد الجزائري الأزهري ... ووافق الفراغ من مطالعته ليلة السبت أواخر شهر ربيع الثاني سنة 1212هـ " [35]. وذكر أيضا ان مطالعة هذا الكتاب كانت بمنزل حسن العطار الكائن بالمشهد الحسيني.

ومما كتبه المقايسي أيضا في الكتب التي درسها ما جاء في آخر نسخة من الحكم العطائية بخط يده أنه فرغ من دراسة الحكم يوم الأحد 12 رمضان 1203 هـ بالجامع الأزهر على يد الشيخ الأمير، وكانت بداية دراسة هذا الكتاب من أول رمضان وختم في 22 رمضان أيضا [36].

30 الحفناوي، مصدر سابق، ج 02، ص ص 141، 142.

31 شرح قطب الرازي على متن الشمسية في المنطق مع حاشيته لعبد الحكيم السيالكوتي

32 للنسفي بشرح التفتازاني.

33 محمد بن علي الصبان الشافعي المصري، يروي عن الملوي وحسن المدابغي والعشماوي والبليدي والحفني والشبراوي والجوهري وعطية الأجهوري والصعيدي وحسن الجبرتي وغيرهم، وأخذ الطريقة عن العارف العفيفي وأبي الأنوار أبي وفا، وهو الذي كناه بأبي العرفان. له مؤلفات في الحديث منظومة في اصطلاح الحديث في ستمائة بيت، وأخرى عارض بها قصيدة ابن فرح، ومنظومة في ضبط رواة الصحيحين، ونظم أسماء أهل بدر، وله ثبت أحال عليه في إجازته لابن عبد السلام الناصري. توفي سنة 1206. محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 1424 هـ - 2003 م. ج 02، ص 705.

34 حسن العطّار (1180 - 1250 هـ) (1766 - 1834 م) حسن بن محمد العطار، الشافعي، الازهري المغربي، المصري (ابو السعادات) عالم، أديب، شاعر، مشارك في الاصول والنحو والمعاني والبيان والمنطق والطب والفلك والهندسة والاصول. ولد بالقاهرة ونشأ بها، واقام زمنا في دمشق، وتولى مشيخة الأزهر، وتوفي بالقاهرة. من تصانيفه الكثيرة: حاشية على شرح الازهرية للشيخ خالد في النحو، حاشية على شرح ايساغوجي للابهري في المنطق، حاشية على جمع الجوامع في الأصول. عمر رضا كحالة معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج 03، ص 285.

35 الحفناوي، مصدر سابق، ج 02، ص 142.

36 الحفناوي، مصدر سابق، ج 02، ص ص 141، 142.

ومن خلال هذه الإجازات يتبين أنها إجازة تعلم ومدارسة وليست إجازة رواية. وهذا يدل مكث الشيخ المقايسي الطويل في مصر من أجل طلب العلم.

وتواريخ هذه الإجازات وهي سنوات 1203، 1212، 1204، يبدوا أن المقايسي كان مجاورا الأزهر في أقل تقدير حوالي تسع سنوات. ويمكن أنه دخل الى مصر للدراسة في الازهر في نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

وطيله هذه السنوات التي قضاها في مصر بقي الشيخ ملازما للجامع الأزهر وشيوخه. ويبدو أنه انتفع كثيرا من خلال أخذه عدة علوم. والظاهر في هذه الإجازات جمع بين علوم الآلة والمعقول. وهي علم المنطق والبلاغة والعلم الكلام وعلوم المنقول من خلال سماع رواية كتب السنة. كما ثبت في إجازته عن شيخ صالح الفلاني.

ومن إجازات المقايسي التي دونها بخط يده إجازاته في الموطأ للامام مالك، والشفاء للقاضي عياض، وسنن ابي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة وسنن النسائي كل هذه الكتب مروية عن الشيخ صالح الفلاني بأسانيدها إلى مؤلفيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[37].

ومن تلاميذ المقايسي كما هو ثابت في فهرس الفهارس من خلال الطرق التي يروي بها الكتاني عن المقايسي. الشيخ العربي بن حسن فرصادوا، والشيخ محمد بن محمود الجزائري[38]

وللمقايسي "حواش" و "تعليقات" على كتب الفقه وغيرها[39]. ومما لا شك فيه أن مساهمته العلمية قد كانت نتيجة لدراسته في الأزهر. وضمنها هذه المؤلفات ما استفاده من شيوخه في الازهر الشريف.

ومن العلماء الذين هاجروا الى مصر واستقروا بها علي بن محمد الجزائري المعروف بابن الترجمان. الذي ولد بمدينة الجزائر سنة 1110هـ. وقد أقام بمصر طويلا. وجاور الأزهر الشريف. وأخذ عن علمائه قال الجبرتي عنه: "وزاحم العلماء بمناكبه في تحصيل أنواع العلوم"[40]. فمن الذين أجازوه الشيخ المنور التلمساني. وكان ابن الترجمان كثير الشعر. انتهى به المطاف في الاسر فتوفي أسيرا شهيدا في موسكو سنة1185هـ بعد مشاركته في أحد الحروب التي كانت قائمة بين الدولة العثمانية وروسيا[41].

---

37 الحفناوي، مصدر سابق، ج 02، ص ص 143، 146.

38 الكتاني، مصدر سابق، ج 01، ص345.

39 نويهض، مرجع سابق، ص 309.

40 عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل بيروت، لبنان، ج 01، 413.

41 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 01، ص ص 436، 437. الجبرتي، مصدر سابق، ج 01، ص ص 413، 414.

من العلماء الجزائريين الذين دخلوا مصر الذين ذكرهم الجبرتي في عجائب الآثار الشيخ أبو العباس المغربي الذي دخل مصر صغيرا. وأخذ عن علمائها. منهم الشيخ علي الصعيدي الذي لازمه وأذن له في التدريس إلى أن اشتهر بفصاحته وحفظه ثم اتجه إلى الحج سنة 1182 هـ. وأخذ عن علماء مكة، منهم الحسن السندي الذي لازمه، ثم رجع الى مصر، وتولى التدريس في الأزهر في مكان شيخه الصعيدي[42]. توفي سنة 1202هـ.

وفيما تقدم من هذا البحث تم الكشف عن العلاقة الثقافية من خلال الدرس وطلب الجزائريين للعلم في الأزهر على علماء ومصر.

وهناك شكل آخر من مظاهر العلاقة الثقافية بين مصر والجزائر وهي التأثير عن طريق المؤلفات العلمية ولا سيما في مجال الفقه المالكي، فخلال بداية القرن الثاني عشر نجد أن الشيخ الحسين أعراب الزواوي الجزائري كانت له عنايته بشرح الخراشي المصري على مختصر خليل في فروع الفقه المالكي. فادخل هذا الشرح الى أروقة الدرس في زوايته ببلاد زواوة. ويذكر الكتاني أن الحسين أعراب[43] أخذ عن الشيخ الخرشي[44] وهو أول من أدخل شرحه على مختصر خليل إلى الجزائر[45]، وكان لهذا الشيخ أثر كبير. فقد أخذ عنه مؤسس الطريقة الرحمانية امحمد بن عبد الرحمن الأزهري. والحسين الورثيلاني، ومحمد سعيد الزواوي[46].

كانت له زاوية يدرس فيها العلوم الدينية المختلفة في تيزي راشد ببلاد القبائل، وتسمى زاويته أيضا زاوية الشيخ الحسين أعراب، وكان لهذه الزاوية دور مهم في بعث الحركة العلمية والفقهية في الجزائر[47].

وقد رحل الشيخ آعراب إلى مصر لطلب العلم ودرس على يد الشيخ الخرشي[48]، ويبدوا أنه درس أيضا على طبقة الشيخ الخرشي في الأزهر.

ومن مظاهر عناية الجزائيين بشرح الخراشي على مختصر خليل هو العمل الذي قام به محمد بن عبد الرحمن بن الحاج اليبدري التلمساني بتأليف حاشية على هذا الشرح سماها (ياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخراشي) التي تقع في أربعة أجزاء كبار، وكان الفراغ من تبييضها في 6 شعبان سنة 1179هـ. وفي جزء

---

[42] الجبرتي، مصدر سابق، ج 01، ص ص 62، 63.

[43] حول الحسين أعراب ينظر: الحفناوي، مصدر سابق، ج 02، ص 69،

[44] الكتاني، مصدر سابق، ج 02، ص 1001

[45] عبد المنعم القاسمي، الشيخ سيدي امحمد ابن عبد الرحمن الأزهري، منشورات مؤسسة الخلوتية للدراسات والأبحاث الصوفية، الجزائر ط 01، 2022. ص 95.

[46] حول محمد سعيد الزواوي ينظر: الكتاني، مصدر سابق، ج 02، ص 1001.

[47] القاسمي، مرجع سابق، ص 95.

[48] القاسمي، مرجع سابق، ص 95.

آخر في سنة 1172هـــ. وهذا يدل على أن اليبدري قد بدأ عمله قبل سنة 1172 هـــ وانتهى منه تصحيحا وتنقيحا سنة 1179 [49].

كما كان للمصريين أثرهم على الدرس الفقهي في الجزائر كان أيضا للجزائر أثرها في البحث الفقهي في مصر بداية من القرن الثاني الهجري، وذلك من خلال الحاشية التي قام بها مصطفى الرماصي على شرح شمس الدين عامر بن ضرب العدواني التتائي على مختصر خليل في الفقه المالكي[50]. وأصبحت هذه الحاشية من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، فاعتمد عليها شيوخ الفقه المالكي في الأزهر. فقد ذكر الشيخ أحمد الصاوي وهو فقهاء المالكية المصريين. في مقدمة حاشيته الموسومة ببلغة السالك أنه أخذ بأقوال الرماصي ورمز بذلك بحرف – ر–[51]. واعتمد على الرماصي أيضا ونقل عنه الشيخ الدسوقي المصري في حاشته على الشرح الكبير للشيخ الدردير على مختصر خليل، واعطاه رمز (طفى)[52]. وكان الأمير الكبير يرجع إلى الرماصي في الكثير من المواضع في كتابه ضوء الشموع في شرح المجموع في الفقه المالكي.

ومن المصريين المتأخرين الذين اعتمدوا على حاشية الرماصي الشيخ عليش في شرحه على مختصر خليل. المسمى منح الجليل في شرح مختصر خليل.

ومن غير المصريين اعتمد على الرماصي كثيرا محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي (1206 – 1302 هـــ) في كتابه، لوامع الدرر في هتك أستار المختصر،

وبذلك يلاحظ أن الرماصي كان له أثر كبير في المدرسة الفقهية المالكية المصرية خلال القرن الثاني عشر عند كل من شرحوا مختصر خليل بعده عند كل من الصاوي والدسوقي والأمير، ومن المصرين المتأخرين الشيخ عليش، وخارج مصر كما لاحظنا هذا الأثر عند الشنقيطي.

بذلك يمكن القول أن هذه الحاشية أصبحت معتمدة في الدرس الفقهي عند المصريين كما انها كانت مرجعا مهما في الكتابة في الفقه المالكي.

---

[49] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج 02، ص 74.

[50] الحفناوي، مصدر سابق، ص ص 566، 568.

[51] بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك. المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)، أحمد بن محمد الصاوي المالكي، صححه: لجنة برئاسة الشيخ أحمد سعد علي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، عام النشر: 1372 هـــ - 1952 م، ج 01، ص 02.

[52] حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت 1230هـــ)، دار الفكر، بيروت لبنان، ج 01، ص 02.

والشيخ الرماصي: (ت 1136هـ - 1724م) هو مصطفى بن عبد الله بن محمد مؤمن الرماصي: عالم، من فقهاء المالكية، ينتسب رماصة احدى قرى مستغانم. تعلم بمازونة، ثم رحل إلى بالقاهرة حيث أخذ عن علماء الأزهر[53]. من إسهاماته العلمية شرح على متن السنوسية في التوحيد،

العلاقات الروحية بين مصر والجزائر

خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت تيارات روحية كبيرة في المشرق والمغرب ولاسيما في مصر. فقد ظهرت في مصر حركة الشيخ مصطفى البكري من خلال نشره الطريقة الخلوتية التي كان لها نفوذ وانتشار كبير في مصر والشام والحجاز. وقد وصل صدى هذه الحركة في الجزائر من خلال خلفاء الشيخ البكري. ومن أكثرهم أثرا الشيح محمد بن سالم الحفني الذي تخرج على يديه مؤسس الطريقة الرحمانية في الجزائر. ومن خلفاء طريقة مصطفى البكري أيضا الشيخ محمود الكردي الذي سلك على يديه في الطريقة الخلوتية الشيخ احمد التجاني الذي سيكون له شأن كبير في الجزائر والمغرب الأقصى بعد تأسيسه الطريقة التجانية.

وخلال هذا المطلب من هذا البحث سأتابع تفاصيل هذا التأثير الروحي بين مصر والجزائر من خلال كل من الشيخ امحمد بن عبد الرحمن والشيخ أحمد التجاني

وبخصوص الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري الجرجري فقد ولد في بني إسماعيل بين سنتي 1126هـ و1133هـ. ثم سافر صغيرا إلى مصر فجاور الجامع الأزهر. واستقر في القاهرة وتزوج هناك.[54]

ويقسم عبد المنعم القاسمي مراحل حياة الشيخ على النحو التالي

مرحلة المولد والنشأة 1133- 1152هـ =1722-1739م

مرحلة الهجرة والطلب 1152-1177هـ= 1739-1764م

مرحلة الارشاد وتأسس 1177-1208= 1764- 1794م [55]

وقد أخذ الشيخ الازهري في بداية أمره عن الشيخ الحسين بن آعراب الزواوي الذي يصفه الشيخ الازهري بأنه صاحب عدتي. وهو الذي وجهه الى الدراسة في مصر[56]. ويبدوا ان الشيخ اعراب كان على دراية كبيرة بالنشاط العلمي في مصر، فقد هاجر أي هناك واخذ عن شيوخها ومن أجلهم الشيخ الخرشي

[53] نويهض، مرجع سابق، ص 152.

[54] الحفناوي، مصدر سابق، ص 450.

[55] القاسمي، مرجع سابق، ص 56.

[56] القاسمي، مرجع سابق، ص 81،

صاحب الشرح على مختصر خليل. كما يظهر أيضا أن الشيخ آعراب وجد في تلميذه ابن عبد الرحمن النجابة والأهلية لتحصيل العلم الشرعي. ولذلك نرى ان هدف رحلته واستقراره الطويل هو تحصيل العلم الشرعي ثم اكتشف بعد ذلك الأجواء الروحية الصوفية التي كانت سائدة هناك فتعلق بها.

وعند مرحلة طلب العلم الشرعي في القاهرة أخذ عن الشيخ أحمد الدردير[57] الفقيه المالكي المشهور. وهو وأكابر رجال الطريقة الخلوتية أيضا. فقد اخذ أيضا هذه الطريقة محمد بن سالم الحفناوي. وللشيخ أحمد الدردير شرح مختصر خليل الذي أصبح معتمدا في التدريس عند المالكية لأنه اعتمد على الراجح من أقوال المذهب. ومن مؤلفاته أيضا التي كانت لها مكانتها العلمية متن أقرب المسالك وشرحه بلغة السالك وغيرها من كتب الفقه والعقيدة والتصوف.

ويشترك امحمد بن عبد الرحمن مع الدردير في أنهما أخذا الطريقة الخلوتية عن الحفناوي وأخذا الفقه عن علي الصعيدي[58].

ومن شيوخه أيضا الشيخ علي الصعيدي الذي كانت له اسهامات في التدريس في الكتابة والتأليف في الفقه المالكي [59].

ومن شيوخه أيضا الشيخ العمروسي[60] وهو كذلك من فقهاء المالكية. والشيخ حسن بن غالب الجداوي[61] وهو كذلك من فقهاء المالكية له بعض الاسهامات العلمية في الفقه. ومن شيوخه أيضا في مصر الشيخ المنور التلمساني

وخلال مرحلة الهجرة الى مصر دامت حوالي 25 سنة، وهذه المدة الطويلة مكنته من الاستفادة كثيرا من الأوساط العلمية في مصر، التي كانت نشيطة في ذلك الوقت،

فعند إقامة الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري في مصر أخذ العلوم الدينية المختلفة. قال عن نفسه: "قدمت مصر ... وشرعت في قراءة جميع الفنون في الجامع الأزهر" [62]

ويرجح القاسمي أن الشيخ امحمد بن عبد الرحمن بحث عن شيخ التربية والسلوك بعد تحصيله مختلف العلوم في جامع الأزهر، ما يرجح ذلك هو أن الشيخ مصطفى البكري وهو شيخ الحفناوي كان

---

[57] ينظر ترجمته في عجائب الآثار للجبرتي، مرجع سابق، ج 02، ص ص 31، 32.

[58] القاسمي، مرجع سابق، ص 98.

[59] القاسمي، مرجع سابق، ص 96.

[60] ترجمته في عجائب الآثار ج 01، ص 30.

[61] ترجمته في عجائب الآثار للجبرتي، مصدر سابق، ج 01، ص301. الزركلي ، مرجع سابق، ج 02، ص 209.

[62] القاسمي، مرجع سابق، ص 66. نقلا عن مخطوط رسالة فتح الباب عني للشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري.

متواجدا في القاهرة أثناء إقامة الشيخ امحمد هناك فالبكري دخل القاهرة سنة 1152 وبقي بها إلى أن توفي سنة 1162. والشيخ امحمد كان متواجدا طوال هذه الفترة، خاصة إذا عرفنا أن الشيخ البكري اشتهر شهرة كبيره في مصر والحجاز والشام وخلف كبار الخلفاء[63]. وهذا ما يرجح أن الشيخ امحمد بن عبد الرحمن لم ينخرط في الطريقة الخلوتية الا بعد وفاة مصطفى البكري سنة 1162هـ. هذا إضافة إلى أن الحفناوي لم يتصدر إلى التربية الارشاد والإجازة في الطريقة الا بعد وفاة شيخه البكري. كل هذا يؤكد أن الشيخ امحمد بن عبد الرحمن لم يأخذ الطريقة الخلوتية عن الحفناوي الا بعد وفاة مصطفى البكري سنة 1162هـ [64].

وخلال هذه السنة يمر على إقامة الشيخ امحمد في القاهرة حوالي 10 سنوات ويبدوا ان هذه الفترة تفرغ فيها لطلب العلوم الشرعية واللغوية في أروقة الجامع الأزهر. ويشهد على ذلك في ذكره في كتاب الدفاتر : "وأنا أقول الحمد لله الذي تجردت لعلم السلوك بعد غطسي في بحر تدريس الفقه وغيره من العلم الظاهر وتفتحت تلاميذي بتدريسي ونصبت للقضاء ، ثم ندمت وبطلته كما فعل استاذي الحفناوي"[65]

ويبدو ان الشيخ محمد بن عبد الرحمن بعد تحصيله لمختلف العلوم الدينة انتقل لمرحلة التدريس حتى تخرج عليه بعض تلامذته. فبين مرحلتي طلب العلم وتدريسه تتطلب مدة قد تصل الى عشر سنوات او أكثر.ولا شك ان محمد بن عبد الرحمن كان له أثره العلمي ومكانته المرموقة في مصر بين علماء الأزهر كما كان له أثره من خلال تخرج طلبة العلم على يديه.

وبعد سلوك امحمد بن عبد الرحمن الطريقة الخلوتية على يد شيخه الحفني أجازه بأوراد هذه الطريقة ومما جاء فيها: " قد أجزت الحسيب النسيب سيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي بأوراد طريقتنا طريق السادات الخلوتية، وأن يجيزها لمن طلبها". حررت هذه الاجازة في شهر صفر سنة 1168هـ[66].

وأجازه إجازة ثانية في سائر العلوم والأوراد وذلك في محرم من سنة 1177هـ وأمره بالعودة إلى الجزائر، وبقي في تواصل مع شيخه الحفناوي بعد عودته إلى بلاده. فكانت هناك مراسلات بينهما. كما كان يرسل الشيخ امحمد بعض مريديه إلى شيخه الحفناوي[67] .

وكان قبل ذلك قد وجه الحفناوي مريده امحمد بن عبد الرحمن إلى السودان لنشر تعاليم هذه الطريقة، وتدريس العلم. وسلك على يده الكثير من الناس خاصة وعامة. فاشتهر أمره، ومكث في بلاد السودان ستة

---

[63] من كبار خلفاء مصطفى البكري يمكن ذكر محمد سالم الحفناوي، ومحمود الكردي ومحمد بن الكريم السمان

[64] القاسمي، مرجع سابق، ص ص 68، 69.

[65] القاسمي، الشيخ سيدي امحمد ص 81، نقلا مخطوط دفتر الدفاتر للشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري.

[66] القاسمي، مرجع سابق، ص 81.

[67] القاسمي، مرجع سابق، ص 86.

سنوات. وبدارفور حصل الفتح الأكبر بعد واصل مجاهداته وعبادته وسلوكه. وقد بين ذلك في رسالته فتح الباب عني[68]

ثم دخل الجزائر بعد أن طلب منه صاحب هذه المدينة فاحتفى به علماؤها[69]. فأخذ بعضهم عنه طريقته. ويذكر الحفناوي أن باشا مدينة الجزائر دعاه إلى منزله وبقي عنده أياما فلقن أهله طريقته الخلوتية. وبذلك انتشر أمره في مختلف مناطق الجزائر فقدم إليه الكثير من الناس للأخذ عنه، فانتشرت طريقته، وبقي يرشد الناس وينشر طريقته بينهم الى أن توفي في مسقط رأسه ايت إسماعيل[70]. وذلك في سنة 1208هـ 1793ـ 1794م وخلفه الكثير من الخلفاء واصلوا نشر طريقته خاصة في الجزائر وتونس. ومن كبار خلفائه الشيخ علي بن عيسى وعبد الرحمن باشتارزي ومحمد بن عزوز وغيرهم[71]. وكان لهؤلاء الخلفاء دور كبير نشر الطريقة الرحمانية في الجزائر خاصة، وفي بلاد القبائل والصحراء شرق الجزائر.

وأما فيما يتعلق بالشيخ أحمد التجاني فهو احمد بن محمد بن المختار التجاني ولد بعين ماضي سنة 1150هـ -1737م. تعلم مختلف العلوم الدينية واللغوية في مسقط رأسه وعكف على دراسته الدينية إلى أن أصبح أهلا للتدريس والفتيا، فقد كانت ترد إليه الأسئلة والفتاوي من مختلف المناطق، لا سيما من المغرب الأقصى والغرب الجزائري. فيجيب عليها[72].

عند بلوغه العشرين سنة توجه إلى فاس. وكان مبلغ همه عند توجهه إلى هذه المدينة هو البحث عن شيوخ التربية الإرشاد. فأخذ عدة طرق صوفية. فاخذ عن شيخ الطريقة الطيبية مولاي الطيب الوزاني سنة 1171، وقد أذن له هذا الشيخ في إعطاء أوراد طريقته، ولكنه لم يفعل. لأنه لم يكن يفهم حال الأولياء كما يقول.

ولقي الشيخ أحمد الصقلي الخلوتي المتوفي سنة 1177هـ خليفة الشيخ محمد بن سالم الحفني المصري. وحضر بعض مجالسه، وأخذ التجاني أيضا عن شيخ الطريقة الشاذلية في فاس الشيخ عبد الله بن العربي معن الأندلسي المتوفي سنة 1188هـ.

وأخذ أيضا الطريقة القادرية في فاس. وأخذ أيضا الطريقة الناصرية الشاذلية عن محمد بن عبد الله التازي الريفي. ومن شيوخه أيضا في التربية والسلوك الصوفي الشيخ أحمد الحبيب الغماري السجلماسي

---

[68] القاسمي، مرجع سابق، ص 78.

[69] الحفناوي، مصدر سابق، ص 452.

[70] الحفناوي، مصدر سابق، ص 452.

[71] الحفناوي، مصدر سابق، ص 453.

[72] عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، ص 36.

الصديقي، والشيخ أحمد الطواش التازي المتوفي سنة1204. وخلال لقائه هؤلاء الشيخ أخذ عنهم طرقهم وأورادهم وأذكارهم[73].

واطلع في فاس على مختلف كتب التصوف المشهورة مثل كتاب الفتوحات المكية ومؤلفات ابن عربي الأخرى، وكتاب الانسان الكامل للجيلي، وكتب السلوك الأخرى مثل كتب المحاسبي وعبد الرحمن السلمي والقشيري والغزالي والسهروردي، وغيرها. ويذكر عبد الباقي مفتاح أن هذه الكتب كان لها أثر في مؤلفات التجاني لها، فكان يستشهد بها كثيرا. ودرس العديد منها[74] .

خرج الشيخ من فاس ثم توجه بلدة الأبيض عند زاوية سيدي الشيخ فتفرغ هناك للتدريس والعبادة ثم سافر بعدها الى تلمسان.

وبين سنتي 1186 و 1188هـ سافر للحج. وعند دخوله بلاد زواوة أخذ الطريقة الخلوتية عن مؤسس الطريقة الرحمانية الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري[75]. ثم واصل طريقه إلى المشرق، فاسقر مدة في تونس وسوسة مدرسا. ثم واصل طريقه إلى الحج فدخل مصر. ولقي شيخه محمود الكردي الخلوتي.

والشيخ محمود الكردي هو من كبار شيوخ التصوف في مصر في عصره. ومن أبرز خلفاء الشيخ مصطفى البكري والشيخ محمد بن سالم الحفني في الطريقة الخلوتية. هاجر الكردي من ساقس في شمال العراق فلقي شيخه الحفناوي فلازمه وأخذ عنه السلوك في الطريقة الخلوتية وأجازه إجازة عظيمة كما يقول الجبرتي. فأشاد الحفناوي كثيرا بمريده محمود الكردي وأبان عن مكانته الروحية، فشهد له بالكمال والترقي في مقامات الرجال. ولما قدم مصطفى البكري مصر أخذ عنه. توفي الكردي سنة 1195هـ. قال الجبرتي عنه: "وهو الذي قام للإرشاد والتسليك بعد انتقال شيخه وسلك على يده كثير وخلفوه"[76]

وكان إذا أراد أحد أخذ الطريق من الشيخ محمد بن سالم الحفني يرسله إلى الشيخ محمود الكردي. وكان يقول لجماعته: "عليكم بالشيخ محمود فإني لولا أعلم من نفوسكم ما أعلم لأمرتكم كلكم بالأخذ عليه والانقياد إليه"[77].

---

[73] مفتاح، مرجع سابق، ص ص 60، 63.

[74] مفتاح، مرجع سابق، ص 60.

[75] محمد العربي بن السائح الشرقي، بغية المستفيد في شرح منية المريد، المكتبة التجارية الكبرى مصر 1356هـ ص 121.

[76] الجبرتي، مصدر سابق، ج 01، ص ص 347.

[77] عبد القادر الرافعي الفاروقي الطرابلسي، إحياء القلوب في شرح حكم محمود الكردي، منشورات تاراس، أربيل العراق ط 01، 2004. ص 07. وقد بسط شارح حكم الكردي في ذكر سيرة ومناقب محمود في مقدمة الشرح. ص ص05، 11.

ومن الذين أخذوا عنه طريقته الشيخ الصالح الصوفي والشيخ محمد السقاط، والشيخ عبد الله الشرقاوي[78] شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمد بدير المقدسي، وإبراهيم الحلبي الحنفي، وعبد القادر الطرابلسي الحنفي، و عمر البابلي وغيرهم[79].

وكل هذا يؤكد مدى أهمية مكانة الشيخ الكردى في الأوساط الروحية والصوفية في مصر. وسبب تعلق التجاني بالشيخ الكردي هم انه رآه في منامه رؤيا. يقول له إن كل ذاتي نحاس، فأجابه الكردي: هو كذلك وأنا أقلب نحاسك ذهبا [80].

وبعد هذه الرؤيا عزم الشيخ السفر إلى مصر من أجل ملاقاة الشيخ محمود الكردي، رغم أن أمير البلد في تونس طلب منه الإقامة لتدرس العلم في مسجد الزيتونة. وخصص له دارا قرب هذا المسجد وعين له مرتبا عظيما [81].

وأثناء سفره للقاهرة من أجل ملاقاة الكردي معبرا فيها عن شوقه، كما تعبر عن أمله وهدفه الذي يريد الوصول إليه من أجل هذه الزيارة فمن جملة ما جاء فيها:

وهل لذرى الإحسان ترقى عوالمي من الحب تحيي مني كل رميمة
وهل لي بغيب الغيب بالله غيبة وهل تتجلى الذات فيها لفكرتي
وهل نفحات القرب فضلا تعمني تغيب كلي عن جميع الخليفة
وهل جذبات بالتجلي تؤمني وقد هدمت مني رسوم الطبيعة[82]

ويقول التجاني انه لما لقي شيخه الكردي "قال لي: لما وردتُ عليه رحمه الله قال لي: أنت محبوب عند الله في الدنيا والآخرة. قلت له: من أين لك هذا؟ قال لي: من الله، بعد أن قلت له: رأيتك وأنا في تونس.

---

[78] عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري (1150 - 1227 هـ = 1737 - 1812 م) فقيه من علماء مصر. ولد في الطويلة من قرى الشرقية بمصر، وتعلم في الأزهر، وولي مشيخته سنة 1208 هـ وصنف كتبا، منها " التحفة البهية في طبقات الشافعية" و" تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من السلاطين"، و" متن العقائد المشرقية" و "فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي" في الحديث، و" حاشية على شرح التحرير" في فقه الشافعية، وغير ذلك. الزركلي، مرجع سابق، ج 4، ص 78.

[79] الجبرتي، مصدر سابق، ص ص 347، 348.

[80] مفتاح، مرجع سابق، ص 73.

[81] مفتاح، مرجع سابق، ص 73. بن السائح، مصدر سابق، ص 121.

[82] مفتاح، مرجع سابق، ص 73. لقد شرح هذه الأبيات العلامة الشيخ أحمد سكيرج في رسالة سماها (حضرة التداني من شرح أبيات الختم التجاني)

قلت لك: أني نحاس كل ذاتي، قلت لي: هو كذلك. وأنا أرد نحاسك ذهبا. فلما قصصتها عليه حين وردت عليه قال لي: هو كذلك كما رأيت"[83].

ويقول التجاني أيضا: "ثم قال لي بعد أيام: ما مطلوبك؟ قلت: مطلوبي القطبانية قال لي: لك أكثر منها. قلت له: عليك؟ قال لي: نعم"[84].

وعند عودة التجاني من الحج دخل مصر عاد للقاء شيخه الكردي وأكرمه بأخص المجالس. كما يقول صاحب بغية المستفيد، وأمره بأن يتردد عليه كل يوم. فكان يتباحث معه في مختلف القضايا لعلمية والعرفانية والصوفية. وعندما عزم التجاني على رجوعه إلى بلاده أذن له الكردي. وأجازه في الطريقة الخلوتية. وكتب له هذه الإجازة وسند الطريق[85]. وأذن له بالتربية والإرشاد بهذه الطريقة[86]. وقد أعرض التجاني في البداية عن إعطاء الطريقة الخلوتية لغيره. فقال له شيخه الكردي: أنا الضامن، فقال له فالآن نعم[87].

يقول عبد الباقي مفتاح أن الشيخ التجاني عندما لقي الشيخ الكردي أخذ عنه بنية التربية والسلوك. وذلك خلافا لجميع من اجتمع معهم من قبل. فقد أخذ عنهم تبركا فقط. أو للحصول على الاذن في بعض الأمور[88]. مثل الإذن في بعض الأوراد والأذكار والأحزاب.

ويذكر مفتاح أيضا أن: "وكما ذكرنا، فقد حصلت للشيخ أحوال روحية ومشاهدات ومرائي، لكن كان. يغلب على جميعها حال الجذب الناتج عن استعداد روحي خاص. أما الشيخ المربي الحقيقي الذي أخذ بيد الشيخ أحمد التجاني وسلك به مدارج الطريق في بدايته فهو السيد محمود الكردي إمام الخلوتية بمصر"[89].

ويقول التجاني عن مكانة شيخه الكردي في مساره الروحي: "جزاه الله عنا خيرا، وما كنا نعرف تحقيق مسائل العلم الظاهر فضلا عن العلم الباطن حتى تلاقينا معه. ففهمنا ما قسم لنا. والحمد لله وله الشكر. ولم نعرف أحوال الأولياء وسيرهم إلا منه، وفهمنا بشيء من علم الوقت الذي يحتاج إليه كل أحد. فلو شكرناه طول أعمارنا ما كفيناه مقدار شعرة مما وصل لنا على يديه. وما وعدنا به من وعده الصادق الذي لا خلف فيه. نسأل الله جلت عظمته أن يكافيه عنا بما كافا به خاصة أحبابه من خلقه. آمين"[90]..

---

[83] محمد ابن المشري السباعي السائحي، روض المحب الفاني فيما تلقيناه من سيدي ابي العباس التجاني، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 26. ابن السائح، مصدر سابق، ص ص 122. وص 126.

[84] ابن المشري، مصدر سابق ص 26. بن السائح، مصدر سابق، ص ص 122. و ص 126.

[85]علي حرازم بن العربي برادة الفاسي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه، تحقيق محمد الراضي كنون الادريسي الحسني، دار الآمان المغرب ص 143.

[86] بن السائح، مصدر سابق ص 126.

[87] ابن المشري، مصدر سابق، ص 26. بن السائح، مصدر سابق، ص ص 122. و ص 126.

[88] مفتاح، مرجع سابق، ص 73.

[89] مفتاح، مرجع سابق، ص ص 73، 74.

[90] ابن المشري، مصدر سابق، ص 27.

ان هذه الشهادة التي قالها التجاني في حق شيخه الكردي تثبت ان شيخه هذا كان له دور كبير في ترقيته روحيا. وهذا خلافا لشيوخه الذي لقيهم من قبل الذي يبدوا انه لم يجد عندهم ضالته المنشودة.

وعند عودة التجاني من الحج مكث بتلمسان مدة ثمان سنوات. ويبدوا ان خلال هذه الفترة كان يلقن التربية والسلوك بالطريقة الخلوتية التي أخذها عن شيخه الكردي.

وممن أخذ عنه الطريقة الخلوتية في تلمسان محمد بن المشري السائحي[91]، الذي قال في كتابه روض المحب الفاني: "تلاقيت معه في مدينة تلمسان، وأذن لي في السلوك بالطريق الخلوتية التي أذن له فيها شيخه الشيخ محمود "[92].

وعند خروج الشيخ من تلمسان متجها إلى فاس لقي في وجدة على حرازم صاحب جواهر المعاني فواصل سيره معه إلى فاس وهناك لقنه أيضا الطريقة الخلوتية[93] .

وإثر وفاة الشيخ محمود الكردي سنة 1195هـ ظهر الشيخ التجاني بالمشيخة والاستقلال بطريقته الخاصة[94]. وفي سنة 1196 بدأت مرحلة التربية والسلوك لطريقته الخاصة ومن هذه السنة بدأت الطريقة التجانية الأحمدية [95].

خاتمة:

من خلال هذا البحث يمكن استخلاص بعض النتائج حول العلاقات العلمية والروحية بين مصر والجزائر خلال القرن الثاني عشر الهجري ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- بعد تتبع المصادر والمراجع في هذا الموضوع يمكن الحكم على أنه كانت هناك علاقات قوية ووطيدة بين بين مصر والجزائر في الفترة المدروسة.
- ولقد كان الأزهر الشريف خلال هذه الفترة محط رحال العلماء الجزائريين من أجل الأخذ وطلب العلم على يد العلماء المصريين.
- كما تشابكت طرق الإسناد والأخذ بين الشيوخ الجزائريين والمصريين وهذا ما يمكن ملاحظته في كتب الأثبات والفهارس كما هو عند ابن عمار وابن الأمين.

---

[91] ابن السايح، مصدر سابق، ص 126.

[92] ابن المشري، مصدر سابق، ص 27.

[93] ابن السايح، مصدر سابق، ص 128.

[94] مفتاح، مرجع سابق، ص 74.

[95] مفتاح، مرجع سابق، ص 80.

- يمكن القول أن الأزهر الشريف قد عرف حركة عليمة كبيرة خلال القرن الثاني عشر فبرز منه علماء كبار استفاد منهم الجزائريين على غرار علي الصعيدي وأحمد الدردير والأمير الكبير ومحمد بن سالم الحفناوي ومحمد الدسوقي وغيرهم.
- لا حظنا خلال هذا البحث أن هناك تواصل بين المدرسة المالكية المصرية والإسهامات العلمية الجزائرية من خلال الاستفادة والتأثير من الكتب المؤلفة، كما تم بيانه حول حاشية الرماصي على شرح التتائي على مختصر خليل. كما كان لشروح وحواشي خليل التي قام بها المصريين مثل شرح الخرشي وشرح الكبير للدردير أثر على الدرس الفقهي المالكي في الجزائر.
- يمكن القول أن مصر كانت مصدرا ومددا روحيا كبيرا لأكبر الطرق الصوفية في الجزائر من خلال أخذ مؤسس الطريقة الرحمانية الشيخ امحمد ابن عبد الرحمن عن الشيخ محمد بن السالم الحفني التربية السلوك الروحي والصوفي في الطريقة الخلوتية.
- ما يمكن قوله عن محمد بن عبد الرحمن الأزهري يمكن قوله على الشيخ أحمد التجاني مع الشيخ المصري محمود الكردي الذي أعطاه دفعا روحيا كبيرا. ولابد أنه كان له أثر كبير عليه وعلى طريقته التجانية.

مصادر ومراجع البحث

أبو القاسم الحفناوي بن الشيخ ابي القاسم الديسي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيير فونطانة الشرقية الجزائر، 1906.

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشرطة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981،

أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة 15، 2002.

عادل نويهض، معجَمُ أعلام الجزائِر، مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1400 هـــ، 1980 م.

عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر،

عبد الحميد بيك، أعيان المشارقة والمغاربة، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ب ت ط.

عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل بيروت، لبنان.

عبد القادر الرافعي الفاروقي الطرابلسي، إحياء القلوب في شرح حكم محمود الكردي، منشورات تاراس، أربيل العراق ط 01، 2004.

عبد المنعم القاسمي، الشيخ سيدي امحمد ابن عبد الرحمن الأزهري، منشورات مؤسسة الخلوتية للدراسات والأبحاث الصوفية، الجزائر ط 01، 2022.

علي حرازم بن العربي برادة الفاسي، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي ابي العباس التجاني رضي الله عنه، تحقيق محمد الراضي كنون الادريسي الحسني، دار الآمان المغرب.

عمر رضا كحالة معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

محمد ابن المشري السباعي السائحي، روض المحب الفاني فيما تلقيناه من سيدي ابي العباس التجاني، تحقيق عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

محمد العربي بن السائح الشرقي، بغية المستفيد في شرح منية المريد، المكتبة التجارية الكبرى مصر 1356هـ

محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 01، 1424 هـ - 2003 م

محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الكتاني فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت لبنان ط 02، 1982.